محاضرات مقياس

مصادر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

مدخل إلى مصادر تاريخ الغرب الإسلامي

أولا ـ مدلول الغرب الإسلامي.

ثانيا ـ بين المصدر و المرجع.

ثالثا ـ أصناف المصادر.

رابعا ـ مستلزمات الاستثمار الجيّد في المادة المصدرية.

أولا ـ مدلول الغرب الإسلامي :

ـ أصل التسمية: الغرب الإسلامي **L'Occident Musulman** لفظ مستحدث ظهر في الفترة المعاصرة، وشاع استخدامه بين المستشرقين بالدرجة الأولى، وبخاصة الفرنسيين منهم.

ـ امتداده: يمتد الغرب الإسلامي من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي، و من الصحراء الكبرى جنوبا، إلى بلاد الأندلس شمالا، وهو بذلك يشمل: بلاد المغرب، والأندلس، وكل ما دان لسلطة الإسلام في جنوب أروبا لفترات زمنية متفاوتة كجنوب إيطاليا، وصقلية، ومالطا، وكريت ...

ولئن أُستند في هذا التقسيم إلى المعيار الجغرافي في رسم حدود الغرب الإسلامي، كما أنّه لا يخلو من تأثيرات عرقية ومذهبية وأيديولوجية، فإنّ المجال الذي امتدّ إليه لم يكن ثابتا بالمرة، إذ يتسع و ينكمش بحسب المتغيرات السياسية، لاسيما ما اتصل بحركتي الفتوح الإسلامية من جهة ، و الحروب الصليبية من جهة أخرى.

ثانيا ـ بين المصدر والمرجع:

ـ على الرغم من المحاولات الكثيرة للباحثين المعاصرين في تحديد مفهومي المصادر والمراجع و بيان الصلة بينها، إلاّ أنّ التداخل بينهما وتقاطعهما في بعض الخصائص جعل ضبطهم للموضوع يشوبه بعض الاضطراب والتمايز، ويحمل في بعض الأحيان خصوصية تتصل بالإطار الحقلي الذي يندرج ضمنه هذا التعريف .

ـ وعلى الجملة **المصادر** هي **أصول** الأشياء، ويطلق هذا الوصف في الغالب على التأليف الذي يكون له السبق في نقل المعلومة لأوّل مرة، و من ثمّ فهو يحوي بين مظانه أقدم مادة عن حدث أو موضوع ما.

ـ تتفاوت المصادر من حيث قيمتها و أهميتها تبعا لجملة من المعايير ، أبرزها:

- **معيار القدم:** تزيد قيمة المصدر إذا كان واضعه من الذين شاركوا في نسجه، أو عاينه و وعاه، أو على الأقل يكون قد عايشه، و تقل منزلته كلما ابتعدنا عن زمن الحدث أو الموضوع المدروس، فيكون الأقدم هو الأصل ، و المتأخر هو الفرع، فـ " **موطأ الإمام مالك** " هو الأصل (المصدر)، وما ألّف حوله من شروح كـ " **شرح الزرقاني** "، أو مختصرات كـ " **تلخيص الموطأ** " للقابسي هي الفروع (المصدر الثانوي).
- **معيار التخصص:** من الطبيعي أن تتمايز درجة اعتناء الكتابات بالموضوع الواحد، فتلك التي أولته عناية خاصة وتعمقت في سبر أغواره و قعّدت له من أصوله، أو أنها كانت أصلا له، تكون أعلى منزلة من تلك التي عرّجت عليه بصورة عابرة حتى وإن كانت أقدم منه في بعض الأحيان، إذ أن منطلق المصدرية هنا يتعلق بالتخصص لا بالقدم الزمني، إلاّ أن يدلي الثاني بمعلومات لا توجد عنده غيره، أو أنّه أقدم من نبّه إليها.

وبناءً على ما تمّ بسطه قبلُ فإنّ " **المرجع** " عادة ما يأتي متأخرا زمنيا عن المصدر ، ويكون الأخير هو مرجعيته في نقل خبره و أحداثه حتى ولو كان الأوّل هو الآخر متقدما زمنيا، فالقاضي النعمان (ت 363 هـ / 973 م) في رسالة "**افتتاح الدعوة** " هو أهم **مصدر** في التأريخ **للدعوة الإسماعيلية** في بلاد المغرب، و ابن الأثير (ت 630 هـ / 1232 م) صاحب تأليف " **الكامل في التاريخ** " بالنسبة إليه يعتبر **مرجعا** في نقل مسار وأخبار هذه الدعوة .

وقد يجمع التأليف الواحد بين خاصيتي المصدر والمرجع كما نلمحه مثلا في " **ديوان العبر** " لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ / 1405م)، فهو **مرجع** فيما ينقله من أخبار عن تاريخ صدر الإسلام والدولتين الأموية والعباسية، وحتى عن أوليات تاريخ بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي، ليصبح أحد أبرز **المصادر** التي عنت بتدوين أحداث ووقائع تاريخ دول الغرب الإسلامي في المرحلة المتأخرة من العصر الوسيط، وبخاصة خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي الذي سجّل لنا عنه كثيرا من شواهده ومشاهده في قالب متميّز، كشف عن كثير من ملامح عصارته في مقدمته الشهيرة.

وعلى الرغم من أنّ صنف المراجع الذي عرّجنا عليه لم يكن له السبق في نقل أوليات الحدث أو الخبر الذي تناولته بالتدوين، إلاّ أنّ تقدمها الزمني، و قربها من زمن صناعته، حتى أنّ بعضها نقلت أخبارها عن المصدر المباشر، يجعلها في منزلة أرفع و أوثق من المراجع المعاصرة، فهي بهذا الوصف " **مصادر ثانوية** " أو " **مصادر مكمّلة** "، و قد ترقى أحيانا في قيمتها إلى منزلة أرقى من المصدر ذاته، إذا ما استطاع الناقل المباشر جمع عدة روايات للحدث، وهو ما يجعلنا نتحرر من قيد المصدر الواحد للخبر ، و يضعنا في صورة أوسع تحيط بالموضوع من جوانب عدة.

أما **المرجع** بمدلوله المعاصر فهو مصطلح يدلّل به على الأبحاث والدراسات الحديثة والمعاصرة التي أنجزت حول مواضيع معينة، و منهجها في نقل الخبر هو الحرص على استيقائه من أصوله المصدرية الأولى، و صياغته في صورة جديدة، تراعي أصالة الخبر، وتنويع مصادره وتمحيصها، وتطعّمه بما جادت به قرائح الباحثين عبر عمليات التمحيص والتصنيف والتحليل والمناقشة، بهدف وضع الموضوع في مختلف السياقات التي أنتجته، بهدف بلوغ كتابة واعية بمنتجات الخبر وظرفياته، ومدركة لامتداداته وعمق إفرازاته.

ثالثا . أصناف المصادر :

يقوم البحث التاريخي على ثلاثة أصناف من المصادر تتفاوت في قيمتها، وحجم موروثها، ودرجة إسهامها في التأريخ البشري، وتتوزع على النحو الآتي:

أ ـ التراث الشفهي:

هو وعاء تراثي من المخزون اللامادي الذي أنتجته البشرية وانتقل بين الناس بصورة شفوية دون أن تطاله آلات التدوين، من مثل: الحكايات، والقصص، والأمثال والحكم، والأشعار والأغاني، مع أفضلية ما عرف مصدره عن مجهوله الذي يأخذ صبغة العموم.

وعلى الرغم من بعض المآخذ على هذا النوع من مصادر التأريخ واحتمال تغيّر كثير من أجزاء منقولاته أمام تقادم الزمن، إلاّ أنه أضحى في الفترة المعاصرة من الأوعية المصدرية التي يلجأ إليها الباحثون في دراساتهم لاسيما ما ارتبط منها بالدراسات الحقلية في الأنثربولوجيا، وعلم الاجتماع، والتاريخ، والطوبونيميا ...، لكونها لا تخلو من إشارات غاية في الأهمية عن أفكار الناس، ومعتقداتهم، ونظمهم، وعاداتهم، وتزداد أهميتها في الفضاءات التي تقل فيها المادة المكتوبة والأثرية.

ب ـ المصادر الأثرية:

يشتمل هذا الصنف من المصادر التاريخية على كلّ ما خلّفه الإنسان من آثار مادية ملموسة [1]، و هي على وجهين:

- **الآثار المادية الثابتة:** تضم المباني والعمائر، على شاكلة العمارة المدنية (القصور، الحدائق، الجسور)، والعمارة الدينية والجنائزية (المعابد والقبور)، والمباني العسكرية (القلاع ، الحصون) ...
- **الآثار المادية المنقولة:** تندرج ضمنها عدة أصناف، من مثل: الحلي وأدوات الزينة، والأواني، المسكوكات، واللوحات والقطع الفنية، والعظام، والحلي، الأسلحة ...

جـ ـ المصادر المكتوبة:

يقصد بالتراث المادي المكتوب جملة المؤلفات والتصانيف والمدونات التي اختطها الإنسان في مختلف الحقب التاريخية السابقة للفترة المعاصرة، سواء تلك التي ظلت صورتها المخطوطة وهو الغالب، أو تلك التي اعتنى بها الباحثون المعاصرون من خلال تحقيقها وتخريج نصوصها بطريقة أكاديمية مضبوطة، أو إعادة نشر مظانها على صورة الكتابة المعاصرة لتسير قراءتها.

و يقسم المنوني هذا الصنف من المصادر المكتوبة إلى نوعين رئيسين، هما:

- **المصادر الموضوعية:** هي المؤلفات المباشرة التي تؤرخ للمنطقة على عدة مستويات، إن على صعيد الدول التي حكمتها، أو أخبار أقطارها و ما ذاع صيته من حواضرها، وكذا من شاع ذكره من أعيانها و رجالاتها، وهو بذلك تضم مؤلفات تواريخ الدول والبلدان، و تراجم مشاهير الأعلام وسيرهم.
- **المصادر غير المباشرة:** يتميّز هذا الصنف من المصادر بكونه يخوض في حقول غير تاريخية إلاّ يكتنز بين مظانه – وإن بدرجات متفاوتة - إشارات تاريخية غاية في الأهمية، وزادت أهميتها بدرجة كبيرة مع تطور مناهج البحث التاريخي، وتعدّد تقنياته، وانفتاحه على مختلف العلوم في ظل تنامي فكر التكامل المعرفي بين العلوم، ومن الألوان المصدرية التي أفاد منها الباحثون في الحقل التاريخي: كتب الرحلة والجغرافيا، والمصنفات الفقهية، والمدونات المنقبية، والمصادر الأدبية، الفهارس والبرامج، ومصادر العلوم التجريبية، الحولات والرسائل والحبسيات ...

رابعا ـ مستلزمات الاستثمار الجيّد في المادة المصدرية:

ما من شكٍّ في أنّ التوظيف المحكم للمادة المصدرية يتوقف على جملة من الأساسيات والأوليات التي تسمح للباحث بسبر أغوار موضوعه بمنهج واع ودقيق يراعي مختلف الجوانب المنهجية و المعرفية التي تساعد على الوصول إلى نتائج أكثر مصداقية ، ولعل أبرزها :

- تنبي المساءلة المتمعنة للنص على بعض القواعد الأساسية، منها:
  - أنّ الاستنطاق الجيّد للنص يتوقف على مستوى و عمق الأسئلة التي يقدّمها له الباحث .
  - وضع مضمون النّص في مختلف السياقات و الظروف التي أنتجته وأخرجته على صورته تلك ، وعدم الاكتفاء بما يوحيه ظاهره .
  - في حالات تعقيد النّص وتجنبا للقراءة الخاطئة له أو تأويله ، يجب أن نقدّم اتهام الفهم قبل أن نتهم النّص .
  - عدم تحميل النّص المصدري أكثر من طاقته ، أو تأويله بحسب ما يخدم أغراضنا البحثية .

1

- لا يجب أن تخرج نتائج دراستنا عن الإطار العام للمادة العلمية التي توفرها لنا المصادر تقليلا أو تعظيما .

- ومن المستلزمات المطلوبة من أجل التقيّد بهذه القواعد طلبا للوصول إلى حقائق دقيقة مشفوعة بشواهد مدروسة بعناية ، نذكر :
  - ضبط الإطار البحثي للموضوع منهجا و توجّها و مصادرا .
  - مراعاة معلومات النشر و كل ما يتصل بالتأليف و المؤلف بهدف القراءة المتبصرة للنص المدركة لظروفه و مؤثراته .
  - استحضار المناهج البحثية الحديثة .
  - الاستعانة بالمصادر المساعدة في حالة المصادر المتخصصة كالمصنفات الفقهية ، و كتب العلوم التجريبية
  - الاطلاع على الدراسات المعاصرة حول الموضوع التي من شأنها أن تفتح لك آفاقا بحثية جديدة .
- العودة إلى الببلوغرافيات المكتوبة و الرقمية بهدف التعرف على أبرز التآليف و المصادر التي تتصل بموضوع بحثنا.

مراجع للدعم

- **عبد الواحد دنون طه: مصادر في تاريخ المغرب والأندلس ـ دراسة وتحليل.**
- **مبارك لمين: دراسات في مصادر تاريخ الغرب الإسلامي.**

جامعة سطيف 2

مصادر الأخبار وكتب التاريخ العام للغرب الإسلامي

الأصول والمميزات

أولا / نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين

ثانيا / المغاربة والتدوين التاريخي:

ثالثا / أشهر كتب الأخبار والتاريخ العام في الغرب الإسلامي

رابعا / أهمية كتب الأخبار والتاريخ العام في التأريخ لمجال الغرب الإسلامي

أولا : نشأة الكتابة التاريخية عند المسلمين

1 / المدرسة الإخبارية :

ـ تمثّل نواة المدرسة التاريخية الإسلامية .

ـ تاريخ ظهورها: تمتد جذورها إلى أواسط القرن 1 هـ / 7م ، وازدهرت خلال القرن 2 هـ / 8 م

ـ مصادرها: الوثائق الرسمية – رواق القصص – النسابة – شيوخ القبائل – المصادر الأجنبية ...

ـ روادها: المدائني – عوانة بن الحكم – ابن السائب الكلبي

ـ منهجها: رواية الحدث مفردا عبر سلسلة رواة تناقلوا الخبر ابتداء ممن شهدوه ، في سياق النهج العام الذي اتسمت به العلوم الدينية "الإسناد" ، أي تصحيح الخبر بناء على مدى الثقة في ناقليه.

2 / خصائصها:

- مزجت في موضوعاتها بين التاريخ القبلي الجاهلي ، والتاريخ الديني بعد الإسلام (المعرفة التاريخية علما مساعدا للتشريع الإسلامي) .
- غزارة المادة وتركيزها على الإسناد .
- تأثرها ولو بدرجات متفاوتة بالتعصب القبلي والأهواء السياسية والميول المذهبية .
- من سلبياتها:
  - تكرار الحادثة داخل المصنف الواحد في أكثر من موضوع وبروايات مختلفة
  - الأخطاء في الأسماء والمبالغة في التقديرات.
  - الخلط بين الأشخاص في نسبة الخبر.
- على الرغم من جهود الإخباريين الأوائل في التأسيس للمدرسة التاريخية الإسلامية إلاّ أن انتقالها من المرحلة الشفوية إلى مرحلة التدوين بمنهج واضح المعالم تأخّر حتى العصر العبّاسي الأوّل: لماذا؟ يرتبط هذا التأخر بجملة من العوامل، من أبرزها:

- يرجع روزنتال هذا التأخر لأسباب دينية ترتبط بعدم منافسة القرآن كما جرى العرف مع اليهود والنصارى.
- التماشي مع التطورات التي طرأت على المجتمع الإسلامي (الانتقال من الفتوح إلى البناء).
- أنّ التراث وتراكمات العصضور السابقة لم يكن قد جمع بعد بالشكل الذي يحفّز على تدوينه.
- انفتاح المسلمين في العصر العبّاسي على شعوب وثقافات المناطق المفتوحة واحتكاكهم على عكس الأمويين بفعل طبيعة فترة حكمهم.
- شجّع ظهور الورق على التوسع في التدوين التاريخي، وجمع المؤلفات الصغيرة ذات الموضوع الزاحد في مجاميع تاريخية ضخمة.

ثانيا / المغاربة والتدوين التاريخي:

ـ الواقع التاريخي المغربي غداة الفتح كان أمام ثلاث روايات مختلفة المرجعية والوضعية، هي:

- مشرقية منتصرة.
- بيزنطية مندحرة.
- محلية شفوية.

ـ عرفت حركة تدوين التاريخ عند المغاربة تأخرا عن المشارقة، واعتمدت في أخبار أوليات أسلمة المنطقة على الرواية المشرقية بما تحمله من سلبيات.

ـ خصائص كتب الأخبار المغربية:

- تأخرها زمنيا عن الكتب المشرقية، تحت تأثير جملة من العوامل:
  - ميل المغاربة إلى التاريخ الشفوي.
  - انشغال الخلافة بحركة الفتوح.
  - تأخر التدوين في المشرق ـ مركز الإشعاع الحضاري آنذاك ـ
  - ضياع المصادر المحلية المبكرة مما فوّت الرصد الدقيق لأوليات للتدوين التاريخي عند المغاربة.
- اعتمادها على المصادر المشرقية في عرض أخبار المنطقة خاصة في القرون الأولى.
- ركزت في أخبارها على التاريخ العام للغرب الإسلامي.
- ضياع الكثير من المصادر الإخبارية المغربية المبكرة: ابن أبي المهاجر وكتابه أخبار فتح بلاد المغرب، وكتاب الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان، جزء من تاريخ إفريقية والمغرب، أنساب البربر...).

ـ ارتبطت الروايات التاريخية المغربية في أصولها بثلاث روايات ، هي :

- الأندلسية: ترجع إلى أحمد بن محمد الرازي (ت 344 هـ/ 955 م)، وابنه عيسى (ت 379 هـ/ 989 م).

جامعة سطيف 2

- المغربية: تعود إلى محمد بن يوسف الوراق القيرواني (ت 363 هـ / 973).
- المشرقية: من روادها ابن عبد الحكم (ت 257 هـ/ 870 م والبلاذري 279 هـ / 892 م)، والطبري (310 هـ / 922 م)، و يفصل حسين مؤنس بين الروايتين المصرية والمشرقية.

واجب منزلي

1 ـ ما المقصود بالمصادر المفقودة؟، وما هي الأسباب التي تقف وراء ضياعها؟

2 ـ أذكر عشرة من مصادر الأخبار والتاريخ العام شريطة أن يكون نصفها من تأليف أعلام ينتمون إلى مجال الغرب الإسلامي؟

3 ـ انطلاقا مما درست: استنتج أهمية المصادر الإخبارية وكتب التاريخ العام في تدوين تاريخ مجال الغرب الإسلامي.

4 ـ حمل ابن خلدون رؤية خاصة في مجال التعاطي مع الخبر التاريخي من خلال التوثق منه وتمحيصه. اشرح ذلك؟

مراجع للدعم

1 ـ فرانتس روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين.

2 ـ علاوة عمارة: الكتابة التاريخية في الغرب الإسلامي الوسيط ضمن كتاب: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص: 149 وما بعدها.

جامعة سطيف 2

مصادر الرحلة والجغرافيا
إسهامها في تدوين تاريخ الغرب الإسلامي

أولا ـ الإطار النظري.

ثانيا ـ مصادر تدوينها.

ثالثا ـ منهجها.

رابعا ـ أهميتها التاريخية.

خامسا ـ أشهر مؤلفاتها في الغرب الإسلامي.

أولا ـ الإطار النظري:

1 ـ الرحلة:

أ ـ لغة: تناولت المصادر اللغوية مصطلح الرحلة ضمن مشتقات الفعل "رحل"، وعلى كثرتها فإن أقربها إلى مقصدنا البحثي هو الارتحال بمعنى الانتقال، أمّا الرُحلة أو الرِحلة فيدلل بهما على الوجهة والمقصد.

ب ـ اصطلاحا: تأخذ الدلالة الاصطلاحية للرحلة معنى الانتقال من مكان إلى آخر ، سواءً بصفة فردية أو جماعية، لغرض مادي أو معنوي، وتنقسم تبعا لذلك إلى عدة أنواع: الدينية، والعلمية، والرسمية، والتجارية، والسياحية، وتندرج التآليف التي اعتنت بتدوين أخبارها ضمن ما يعرف بـ " أدب الرحلة"، وسيقت لنا على صورتين نثرية وهي الغالبة، وشعرية.

ج ـ دوافع انتشارها:

وقد أسهمت في انتشار الرحلة جملة من العوامل تنوعت بين إدارة شؤون الدول، وبين أنشطة الرعية، ومنها:

- شساعة رقعة العالم الإسلامية، وحاجة بعض أجهزة الدولة إلى المعلومات التي جمعتها هذه المصادر
- أنّ وصف المناطق المفتوحة، والمعرفة بخصائصها الطبيعية والبشرية يساعد على الإدارة الجيدة، كما ييسر من جهة أخرى تطبيق أحكام الشريعة.
- ازدهار الحياة الثقافية في العالم الإسلامي، وازدياد الحاجة إلى الرحلة لطلب العلم لتلقي المعارف من أصولها و كبار أعلامها.
- تأدية فريضة الحج، وزيارة الأماكن المقدسة.
- ارتباط بعضها بالأنشطة التجارية، أو بأداء بعض المهام الرسمية.
- السياحة الفردية للترويح و التأمل في خلق الله عز وجل.

2 ـ الجغرافيا:

أ ـ لغة: يرجع مصطلح الجغرافيا " Géographie" إلى أصل إغريقي، ويتألف من مقطعين "Géo" ويعني وصف، و"graphie" الذي يقابل الأرض في ترجمته إلى العربية.

ب ـ اصطلاحا: يدلل به على العلم الذي يعتني بوصف البلدان والأقاليم، وما تشتمل عليه من خلائق، وما انطبعوا عليه من أخلاق وطبائع، ومارسوه من عادات وتقاليد، وشاع استخدامه بين المسلمين في بداياته بحذف " ال " التعريف.

جـ ـ أقسامها: بدأ علم الجغرافيا عند المسلمين خلال القرن 4 هـ / 10م ، وينقسم إلى نوعين[2]:

- **الجغرافيا الرياضية:** تقوم على الأرقام والأساليب الرياضية والفلكية ، وانتقل إلى المسلمين من الهند عبر بلاد فارس والسريان عبر اليونان ، ومن رواده الخوارزمي والكندي .
- **الجغرافيا الوصفية:** تشتمل على المؤلفات التي اتخذت من المنهج الوصفي لها من الكتب الإقليمية أو البلدانية، والمعاجم الجغرافية، وأحيانا بعض الكتب الرحلية التي يغلب عليها الطابع الوصفي، وتستند إلى أسلوبالمشاهدة والزيارات الميدانية، ومن روادها البلخي والاصطخري والمقدسي ...

ثانيا ـ مصادر تدوينها:

اصطفينا لدراسة الموارد المرجعية التي استند إليها هذا الجنس المصدري في تدوين معارفها مؤلف "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " لأبي عبيد البكري، لجملة من الاعتبارات أهمها: تنوع موارده، ودقته في نقل أخباره، وجمعه في أهميته بين المعطيين التاريخي والجغرافي.

ويمكن من خلال تنميط الموارد المصدرية التي استند إليها البكري في تدوين مغربه في عدة مستندات، هي:

1 ـ الرواية الشفوية:

- أخذ الخبر مشافهة من الراوي ، ويتجلى ذلك من خلال تصريح البكري بمصدر روايته، وذكر منهم : مؤمن بن يومر الهواري، وأبو محمد عبد الملك بن نخاس الغرفة، وقد يعزف في بعض الأحيان إلى عدم تسميته، ربما لعدم شهرته، ولكنه يؤكد على كونه من الثقات.
- إيراد الخبر بصورة عامّة دون التلميح إلى مصدره، من خلال الإشارة إليه بالقول: قالوا، أو ذكر، حدّثوا.

2 ـ المدونات:

أ / المصادر المشرقية: اعتمد البكري على مصدرين رئيسين ينتميان إلى هذا المجال، هما:

ـ فتوح إفريقية والمغرب لابن عبد الحكم.

ـ كتاب الأخبار لأبي الحسن النوفلي في أخباره عن الأدارسة.

ب / المصادر المغربية: هي مصادر متأخرة عن الرواية المشرقية بل أن الأخيرة هي أصول لبعض أخبارها ، وقد استند البكري في مغربه إلى خمسة منها:

---

[2] مرّ تطور أدب الرحلة عند المسلمين بثلاث مراحل ، هي :

- مرحلة النشأة : تمتد حتى أوائل القرن 4 هـ / 10 م ، وهي في مجملها رحلات بحرية ذات طابع التجاري ، وتتخلل أخبارها أساطير تصور أهوال البحر ومخاطره ، وعلى تعدّدها إلاّ أنّ معظمها لم يدوّن، ومنها : رحلة سندباد البحري ، رحلة سليم الأسواني ، رحلة ابن فضلان، رحلة سليمان التاجر ...
- مرحلة الازدهار: شملت القرنين 4 – 5 هـ / 10 – 11 م ، ولئن بدت في مستهلها متأثرة تحت تأثير حركة الترجمة متأثرة بالجغرافيا اليونانية، إلاّ أنها ما لبثت أن استقلت بشخصيتها على يد البلخي ثمّ الاصطخري ، لتشهد ذروتها عند المقدسي في أحسن التقاسيم .
- مرحلة الجمع والتقليد : نحا خلالها المسلمون بدءًا من القرن 6 هـ / 12 م إلى منهج جديد في التأليف يستند إلى وضع معاجم تتناول جهود الأسبقين في مختلف المعارف ، و كذا أضحى توجّه الجغرافيين على غرار الإدريسي في نزهته ، و البكري في معجمه ، كما برز إلى جانبها أسلوب الموسوعات التي تهتم بمختلف أصناف العلوم كنهاية الأرب للنويري ، وصبح الأعشى للقلقشندي ...

ـ ابن أبي المهاجر عيسى بن محمد (ت النصف الثاني من القرن 2 هـ / 8 م) في فتوح إفريقية.

ـ رواية محمد بن يوسف الوراق (363 هـ / 973 م) في وصف مدن المغربين الأوسط والأقصى.

ـ أبو العرب تميم القيرواني (333 هـ / 944 م).

ـ ابن الجزار أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (ت 369 هـ / 979 م) ضمن مؤلف مغازي إفريقية ، وكان معوّله عليه في نقل أخبار الفتح الإسلامي للمنطقة.

ـ اليحصبي عبد الله بن أبي حسان صاحب كتاب تاريخ إفريقية وحروبها: نقل عنه البكري فتح بلاد سكوما.

3 / المراسلات:

تشمل الرسائل التي تفد إلى قرطبة من مختلف الأقاليم تنقل أخبارا عن تاريخها، وحكامها، وخصائصها الطبيعية، وشكلت فيما بعد مصدرا هاما لكثير من المؤرخين والجغرافيين في كتاباتهم حول الغرب الإسلامي، على غرار ما حدث مع محمد بن يوسف الوراق الذي ألّف للخليفة المستنصر الأموي مسالك إفريقية وممالكها، إلى جانب أبي صالح زمور بن موسى البرغواطي الذي حمل إلى قرطبة سنة 352 هـ / 963 م رسالة حول قبيلة برغواطة ذكرها البكري تحت عنوان ذكر ممالك برغواطة وملوكهم.

4 / المصادر الأجنبية:

على الرغم من أنّ البكري لم يشر إلى ذلك صراحة، إلاّ أنّ إشاراته إلى أصول أسماء بعض المدن والمناطق، إلى جانب بعض أولياتها، تزيد من افتراض استناده إلى بعض مؤلفات النصارى خاصة أنه عاش في منطقة احتكاك مباشر معهم.

ثالثا ـ منهجها:

نستشف من خلال تعقب منهج تدوين النص الرحلي في الغرب الإسلامي أنه لم يكن موحدا بين جميع أصنافه ، فقد استقل بعض منها بخصائص ميزته عن باقي الصنوف الأخرى ، كما يبرز من خلال المحطات التالية :

- لما كان المتصوفة أميل إلى حياة البساطة فقد كان أسلوب تدوينهم لرحلاتهم بعيدا عن التكلف والاصطناع، ويبدو أن الجمهور الموجّه إليه هذا الجنس المصدري قد فرض عليها هذا التوجّه القريب في تركيبه من فهم العوام، وتشترك في هذه الخاصية مع المدونات المنقبية، إلى جانب طغيان الطابع القصصي والحكواتي وعنصر المفاجأة على نسق تدوينها، ومن أمثلتها رحلة أنس الفقير لابن قنفذ، وإدريسية النسب في المدن والقرى وبلاد العرب لابن قنفوذ.
- الرحلات التي كانت تشبه في نسقها كتب الفهارس كانت أميل إلى منهج المحدثين من الاعتناء بالسند وطرق التحمل، وذكر الشيوخ الذين تتلمذوا عليهم، والكتب التي درسوها، على غرار رحلات ابن رشيد، والعبدري، والتجيبي، والمقري.
- تأرجّح منهج باقي أنواع الرحلات السياحية والرسمية والتجارية بين الغرق في أسلوب التصنع والتنميق والإفراط في استخدام البديع عند البعض، وبين العفوية والبساطة في التعبير ونقل الأخبار على غرار ما نلمحه على رحلة ابن بطوطة التي فيها " ... حرص كبير على تأدية المعاني، أي أنّ الأسلوب فيها خادم للفكرة ولم يكن مقصودا لذاته، ومن هنا انعدام الاهتمام بزخرفة الأسلوب وتطويره، وتنميق العبارات وترصيعها على حساب التفريط في الفكرة ... ".

رابعا ـ أهميتها التاريخية:

- أنّ المكان (المجال) هو أحد أركان كتابة الحدث لدى المؤرخ، لذلك فالعلاقة بين التاريخ والجغرافيا تكاملية.
- تتضمن أحداثا تاريخية متفاوتة الدقة، وتنفرد في بعض الأحيان بنقول لمصادر تندرج اليوم ضمن التراث المفقود.
- بالرغم مما شاب هذا الصنف من المصادر من اختلافات وتكرار ونقول إلاّ أنها تكتنز بين مظانها إشارات هامّة عن أوصاف الناس، وأحوالهم ومعاشهم، وعاداتهم وطبائعهم
- تعدّ بيئة خصبة لدراسة كثير من المسائل التي أفرزها انفتاح التاريخ على مختلف العلوم وما صاحبه من تطور في المناهج والمواضيع المطروقة كالجغرافيا التاريخية، والديموغرافيا التاريخية، إلى جانب توفرها على إشارات هامة تتعلق بالجانب الاقتصادي من حيث الموارد والمنتجات وأنماط الإنتاج.

خامسا ـ أشهر مؤلفاتها في الغرب الإسلامي: وضمنها المشرقية التي نقلت لنا أوصافا عن الغرب الإسلامي.

المؤلف	تاريخ الوفاة	عنوان التأليف
اليعقوبي	284 هـ / 897 م	البلدان.
ابن حوقل النصيبي	367 هـ / 977 م	كتاب صورة الأرض.
المقدسي	387 هـ / 997 م	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.
البكري	487 هـ / 1094 م	المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.
مجهول	ق 6 / 12 م	كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار.
الشريف الإدريسي	560 هـ /1164 م	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
ياقوت الحموي	626 هـ / 1228 م	معجم البلدان.
ابن سعيد المغربي	685 هـ / 1286 م	كتاب الجغرافيا.
العبدري	حوالي 720 هـ / 1319 م	الرحلة المغربية.
ابن بطوطة	779 هـ / 1377 م	تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.
القلصادي	891 هـ / 1486 م	تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب.
الحميري	900 هـ / 1495 م	الروض المعطار في خبر الأقطار.
عبد الباسط الملطي	920 هـ / 1514 م	الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم.

- **سؤال تقويمي: هل تقدّم كتب الرحلة والجغرافيا صورة متكاملة الجوانب عن واقع الغرب الإسلامي في العصر الوسيط؟**

مراجع للدعم

- صالح المغربي: أدب الرحلة في الغرب الإسلامي.
- نوال عبد الرحمن الشوايكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية.

علم التراجم وأدب المناقب في الغرب الإسلامي
المنهج والخصائص والأهمية التاريخية

أولا ـ الإطار الدلالي.

1- الترجمة.

2- السيرة.

3- المناقب.

ثانيا ـ أصناف التراجم.

ثالثا ـ منهج التدوين في التراجم والمناقب .

رابعا ـ مصادر تدوينهما.

خامسا ـ خصائصهما.

سادسا ـ أهميتهما التاريخية.

أولا ـ الإطار الدلالي:

1 ـ **الترجمة:** تستمد دلالتها اللغوية من لفظ " ترجم" بمعنى بيّن ووضّح، وهي في الاصطلاح فن أدبي، يتناول أخبار أولئك القلة من النّاس الذين خرجوا عن الوصف العام لبني البشر، فصار لهم ذكر وأثر في السياسة أو الحرب أو الأدب أوالدين.

2 ـ **السيرة:** هي ترجمة مطوّلة لأحد أو ثلة من الأعلام البارزين، وتختلف عن الترجمة في استيفائها لمختلف دقائق حياة المترجم له، وتعتبر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أقدم السير التي تناولها المسلمون بالدراسة، وتناولها في عدة فنون: الشمائل، المغازي، المعجزات ، ومن أمثلتها: سيرة ابن إسحاق، وسيرة ابن هشام.

3 ـ **المناقب:** تعني عند اللغويين ما حسُن من الأخلاق، وهي بذلك تقابل المحاسن والفضائل والمآثر، أما مدلولها الاصطلاحي فيضبطه بلقاسم مالكية بأنّه **" مفهوم جامع لكل الأخبار والحكايات التي تعدّد مآثر ، ومحاسن، ومفاخر، الأعلام والنابهين من الأولياء، والعلماء، والصالحين، والأمراء، والوزراء، والسلاطين، وأهل الشرف، والفضل أجمعين بهدف تمجيدهم، وذكر محاسنهم، رغبة في التأسي بهم، والاقتداء بسيرهم ".**

ثانيا ـ أصناف التراجم:

يظهر من خلال استقراء مؤلفات التراجم الوسيطة أنّها أخذت أشكالا عدة، تباينت في منطلقاتها، منها:

1 ـ **التراجم العامّة:** هي التي نحت منحىً عاما في التأليف، وتمثّل السواد الأعظم من هذه المصنفات، وأشهرها: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، وسير أعلام النبلاء للذهبي.

2 ـ **التراجم المتخصصة:** تضم الأعمال الشاملة لأعلام بصورة نمطية وفق معالم خاصة تشترك فيها، وهي على أربعة أوجه:

أ ـ **التراجم الزمنية:** تضم الأعمال الشاملة التي تترجم لأعلام كل حقبة زمنية (فترة حكم، قرن ...)، بغض النظر عن مجالات اشتهارهم ومواطنهم، ومنها: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

ب ـ **التراجم الجغرافية:** هي مؤلفات صنفت المترجم لهم حسل انتماءاتهم الجغرافية (أصلا ـ درا ـ مولدا) ، من مثل تاريخ دمشق لابن عساكر، وطبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم

جـ ـ **التراجم الموضوعية:** تترجم لأعلام يشتركون في الاهتمام بموضوع واحد، أو يحترفون فنا متشابها كالشعر (ابن الجمحي: طبقات الشعراء) والطب (ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء)

د ـ **تراجم الأنساب والقبائل:** لا يترجم هذا اللون من المصادر للأفراد بل يتعداه للأسر والقبائل، ومن أمثلتها: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، الأنساب لابن عبد الحليم ...

4 ـ أصناف الفهارس في الغرب الإسلامي:

على الرغم من أنّ الفهارس تندرج ضمن كتب التراجم والسير إلاّ أنها أخذت نوعا من الخصوصية ارتبط بتعمّقها بالجانب العلمي للمترجم بكافة دقائقه، وعلى تعدّد تسمياتها، بيد أنها تتقارب في مدلولاتها مثلما يبرزه الجدول الموالي:

الصنف	أصله تسميته ودلالتها واللغوية	الدلالة الاصطلاحية	من مصادره
البرنامج	أصله فارسي "برنامه"، ويأخذ الورقة الجامعة للحساب.	شاع أكثر بين أهل الأندلس هو النسخة التي يكتب فيها المحدّث أسماء رواته وأسانيد كتبه المسموعة بذلك.	برنامج ابن أبي الربيع برنامج التجيبي برنامج شيوخ ابن الفخار
الفهرسة (الفهرس)	لفظة فارسية، وكتبها الأوائل بالتاء المفتوحة الفهرست، والفهرس هو الكتاب الذي تجمع فيه المؤلفات.	استخدم بالغرب الإسلامي في مرحلة متأخرة من العصر الوسيط، ويقصد به الكتاب الذي يذكر فيه مؤلف شيوخه، وما قرأ عليهم من كتب بأسانيدهم إلى مؤلفيها، أو واضعي العلوم ةأئمة المذهب.	فهرسة القاضي عياض فهرسة ابن خير الإشبيلي فهرسة السراج فهرست الرصاع فهرسة السنوسي
المعجم	العجم هو النقط بالسواد، ومعناه حروف خط المعجم، ثمّ عمم الاسم على سائر حروف الهجاء.	هو ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان، والغالب أن يكونوا على حروف المعجم.	معجم شيوخ ابن المضاء معجم شيوخ ابن خير معجم شيوخ ابن فرتون
المشيخة	يطلق لفظ الشيخ على من استبان فيه السن، ويطلق مجازا على المعلم والأستاذ لعظم شأنه.	اشتهرت هذه التسمية في المشرق في مقابل البرنامج والفهرس، وتشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم، أو أجازوه وإن لم يلقهم.	تقابل البرامج والفهارس
الثبت	هو الحجة والبيّنة، ونقول رجل حجة، بمعنى موثوق في روايته.	الثبت هو الكتاب الذي يجمع فيه المحدّث مروياته وأشياخه، ويكون بذلك الشيوخ والأسانيد بمثابة الحجة له، وقد ربطه البعض بالإجازات فقط، دون أن يرفعوه إلى درجة الفهرس والبرنامج.	ثبت الواد آشي ثبت ابن حروز
أسماء أخرى	كتاب الرجال الذين لقيهم المؤلّف ـ التقييد ـ الدرج ـ السند ـ الإجازة ـ الاستدعاء		

ثالثا ـ منهج التدوين في التراجم والمناقب:

1 ـ في التراجم:

- تأثر منهجها بعلم الرجال عند أهل الحديث، مع تفاوت في الدقة، تباين الغاية.
- تعتمد على معيار موحّد تستند إليه في ترتيب المترجم لهم (حروف الهجاء، سنوات الوفاة، الطبقات...).
- ركزت على عناصر تكاد ثابتة في التعريف بتراجم الصنف الواحد، على غرار:
- العالم: اسمه، ونسبه، وأصله، وتاريخ ميلاده، وشيوخه، ورحلته، وعلمه، وتلاميذه، آثاره، منزلته وما قيل فيه، وفاته ...

- الأمير: اسمه الكامل، ميلاده، تاريخ توليه الإمارة، وزراؤه، كتّابه، قواده، منجزاته، وفاته...

2 ـ في المناقب (الصوفية أنموذجا):

- التعريف بالأصل، والنشأة، وظروف الولادة، والمشيخة التي استفاد منها، سنده في لبس الخرقة والمشابكة ...(تختلف من مصدر لآخر، ومن لون منقبي لآخر).
- استعراض الجانب المعيشي(أكل، شرب، لباس، ركوب، أخلاقه ومعاملاته...) والكرامي عند الشيخ عبر سرد أخباره ومواقفه (كراماته ومكاشفاته).
- تسليط الضوء على جوانب من الثقافة الصوفية عند الشيخ من خلال جهوده في تفسير القرآن وبسط أقوال العلماء والأولياء لاسيما المهم منه، ويعقبه إيراد إشارات تبرز تضلعه في الطريق الصوفي الذي ينتمي إليه من خلال بعض مواقفه، ومقتطفات من مأثوراته، وجميل كلامه، أو ما نظمه من أشعار، وما واظب عليه من أوراد.
- ما نظم فيه من أشعار، وما نقل بشأنه من أقوال.
- وفاته.

رابعا ـ مصادرهما:

- تنوعت الإشارة إليها بين ذكرها في مجملها في بداية التأليف، وأحيانا عند الفراغ منه، أو الإشارة إليها موزعة على التراجم.
- أقوالهم عن أنفسهم وتعريفهم بذواتهم.
- أخبارهم عند من عايشهم (الأهل، المعاصرون، التلاميذ...).
- رواية الأسانيد المرتبطة بأقرانهم وطلابهم.
- المصادر التي ترجمت لهم واهتمت برصد محاسنهم، والمؤلفات التي استعان بها المؤلفون في بسط سلوكات وأقوال ومأثورات مترجميهم.
- استقراء مؤلفاتهم ومآثرهم ومواقفهم.

خامسا ـ خصائصهما:

1 ـ التراجم:

- تدوينها جاء من قبل أفراد وليست هيئات خاصة.
- تأثرها في البداية بمنهج أهل الحديث.
- بدأت دينية ثمّ توسعت إلى باقي الحقول الأخرى.
- تأثرها بالأهواء السياسية والميول المذهبية لمؤليفها.
- راجت في المشرق ثمّ انتقلت إلى الأندلس ، فالمغرب.
- كثرة رصيدها، وتنوع موضوعاتها.
- التباين في بعض تسمياتها بين المشرق والمغرب.

جامعة سطيف 2

2 ـ المناقب:

- تقديم تفاصيل دقيقة عن الواقع المعيشي للمترجم له.
- اعتماد أسلوب بسيط لقريب أفكارها من العامة.
- طغيان الطابع الكرامي العجائبي عل أسلوبها.
- اهتمت في البداية برصد محاسن وفضائل الأعلام بغض النظر عن تخصّصهم، ثمّ تركزت على النخبة الدينية، ومع ازدهار الأدب الصوفي ارتبطت بالخوارق والكرامات، وهي السمة التي غلبت عليها.
- تأثرها بالأهواء السياسية والميول المذهبية لمؤليفها.
- راجت في المشرق ثمّ انتقلت إلى الأندلس، فالمغرب.
- كثرة رصيدها، وتنوع موضوعاتها.
- التباين في بعض تسمياتها بين المشرق والمغرب.

سادسا ـ أهميتها التاريخية:

- تضم إشارات تاريخية متنوعة، صحيح أنّها تفتقر في كثير من الأحيان إلى دقة المصادر المباشرة، إلاّ أنّها تعزّز نصوصها، وتقدّم إضافات لها، وقد تتحول في بعض الحالات إلى مُعوَّل الباحث الأول، إذا ما انفردت بالخبر عن الجزئية المدروسة.
- على الرغم من أنّها تسلّط الضوء على النُخب السياسية والعلمية والسياسية، إلاّ ذلك لم يمنع من توافرها على إشارات غاية في الأهمية عن المجتمع في أنظمته، وذهنياته، وأنسجته، ومهمّشيه، وآفاته ...
- تعدّ من العلوم المساعدة التي انفتح عليها الحقل التاريخي ضمن رؤية أن فهم الحدث التاريخي وإدراكه في عمقه لا يتأتى إلاّ بدراسة ضمن مختلّف مُنتجاته.
- سدت العديد من الفجوات والحلقات المفقودة التي أشكلت على الباحثين نتيجة سكوت المصادر التاريخية عنها، أو إيرادها بشكل مقتضب زاد من ضبابيتها.

مراجع للدعم

- **أيوب بن حدو وبلقاسم مالكية: أدب المناقب ـ المفهوم والجذور ـ**
- **عبد الله المرابط الترغي: فهارس علماء المغرب.**

المصادر الفقهية[3] في الغرب الإسلامي
النوازل الفقهية أنموذجا

أولا ـ مفهومها.

ثانيا ـ نشأتها.

ثالثا ـ تطورها .

رابعا ـ منهجها.

خامسا ـ خصائصها.

سادسا ـ أهميتها التاريخية.

أولا ـ مفهومها:

أ ـ لغة: النزول في اللغة الحلول، والنازلة تجمع على نوازل، وهي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس.

ب ـ اصطلاحا: هي تلك الوقائع و الأحداث الجديدة التي تنزل بالناس وأشكل عليهم حكمها، فيتجهون بها إلى الفقهاء والمفتين للبحث عن أجوبة شرعية لها.

ج ـ المصطلح بين تعدّد التسميات وتقارب المدلول:

على الرغم من أنّ هذا التوجّه الفقهي اشتهر باسم النوازل، إلاّ أنّه عرف بتسميات أخرى تختلف عنه في الاسم غير أنّها تقاربها في دلالتها الاصطلاحية، و لعل أبرزها:

- **الفتاوى:** يقال في اللغة أفتى في الأمر بمعنى أبانه، وهي في دلالتها الاصطلاحية يقصد بها تبيين موقف الشرع من مسألة ما، وهي من الوظائف التي مارسها الفقهاء منذ أوائل الدولة الإسلامية، ومن أمثلتها: فتاوى ابن تيمية، فتاوى ابن رشد، فتاوى الشاطبي.
- **الأجوبة:** نقول في اللغة: أجابه، بمعنى ردّ على كلامه، واشتق مفهومها الاصطلاحي من وظيفة الفقيه الذي يتولى الإجابة عن الأسئلة و القضايا التي وردت إليه، ومن أشهرها: أجوبة أبي الحسن القابسي، أجوبة أبي عمران الفاسي، الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية.
- **المسائل:** تعرف أيضا بالأسئلة، ويقال في اللغة: سأل عن شيء، بمعنى استخبر وطلب المعرفة بالشيء، ولا تختلف في جوهرها عن الأجوبة، إلاّ أنّ أصل تسميتها اشتق من السؤال عن الشيء، ومن نماذجها: مسائل ابن رشد.
- **الأحكام:** عرفت كذلك لأنها بنيت على أحكام شرعية خاصة بمسألة معينة، ومن أمثلتها: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، أحكام ابن سهل.
- **تسميات أخرى:** الوقائع، الحوادث، المستجدات، القضايا ...

---

[3] تتصل بكل التآليف التي كان الفقه هو مستندها الرئيس، ومن أصنافها الأخرى فيما خلا النوازل:

- كتب الوثائق: الوثائق والسجلات لابن العطار، الوثائق المجموعة لابن الفتوح، الوثائق المختصرة لابن اسحاق، المهذب الرائق للمازوني الأب، المنهج الفائق للونشريسي.
- كتب الحسبة: أحكام السوق ليحي بن عمر، أداب الحسبة والمحتسب لابن عبد الرؤوف، رسالة في القضاء و الحسبة لابن عبدون، في آداب الحسبة للسقطي.
- كتب البدع : البدع والنهي عنها لابن وضاح، الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، المدخل لابن الحاج، الاعتصام للشاطبي، تحفة الناظر وغنية الذاكر للعقباني.

ثانيا ـ نشأتها:

شكّلت مرحلة النبوة موروث الشرعي (أحكام القرآن، وفتاوى النبي صلى الله عليه وسلم في مسائل وانشغالات أصحابه) الذي نشأ في أحضانه الفقه الإسلامي، ثمّ صار الخلفاء وكبار الصحابة في العهد الراشدي ملجأ النّاس فيما أشكل عليهم من أمورهم، وكان مستندهم في ذلك الكتاب والسنة، فإن تعذر الأمر اجتهدوا في إصدار أحكام تسايرهما، وهو ما أفرز مصادر تشريع جديدة عرفت بالإجماع والقياس، واصطلح على هذا الحراك الفقهي بـ " فقه السلف "، الذي اتّسم في هذه المرحلة بقلة الاختلاف بين أصحابه، مع بقائه شفويا، إذ لم يدوّن إلاّ في مراحل لاحقة.

ثالثا ـ تطورها: مرّ فقه النوازل في العالم الإسلامي بثلاث مراحل كبرى هي:

أ ـ مرحلة الأولى: تمتد ما بين القرنين 2 ـ 3 هـ / 8 ـ 9 م، وتميز الفقه في هذه الفترة بالتداخل بين مختلف فروعه، بمعنى أنّ النوازل كانت تتناول في سياقه العام، ومع ذلك فإنّها تعد أزهى فترات تبلور الفقه الإسلامي من حيث التفكير والإبداع، وفيها تكونت المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة: الحنفي ـ المالكي ـ الشافعي ـ الحنبلي.

ب ـ المرحلة الثانية: تنحصر ما بين القرنين 3 ـ 7 هـ / 9 ـ 13 م، وتميزت بإغلاق باب الاجتهاد في الفقه وبداية تدوين مصنفاته، وفيها صار فقه النوازل مستقلا بذاته، وطغى عليه طابع الاجتهاد المذهبي، ومن أشهر مؤلفات هذه المرحلة عند المالكية: النوادر و الزيادات لابن أبي زيد القيرواني، و البيان و التحصيل لابن رشد.

ج ـ المرحلة الثالثة: تبدأ من القرن 8 هـ / 14 م ، مع بداية تراجع الحضارة الإسلامية في شتى المجالات، وخلالها ضعف الإنتاج الفقهي، ومال أهله إلى الشروح والحواشي و المختصرات، ولم تبق النوازل الفقهية مرتبطة بفتاوى فقيه معين، بل أصبحت أشبه بالمجاميع الفقهية التي تشتمل على اجتهادات السلف حتى عصر المؤلف الذي قد يضيف لها بعض اجتهاداته، وما جادت به جهود معاصريه، ومن أمثلتها: جامع مسائل الأحكام للبرزلي، والدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني الابن، و المعيار المعرب لأحمد بن يحي الونشريسي.

رابعا ـ منهجها:

لما كان الغرض الأوّل الذي صنفت لأجله النوازل الفقهية دينيا خالصا، فقد دأب مصنفوها على تقسيمها إلى كتب، وأبواب، تضم المسائل ذات الموضوع الواحد، وقد يحدث أن يفرد فقيه كتابا بأكمله للجواب على نازلة واحدة كما فعل ابن قنفذ القسنطيني في كتابه تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد.

أما عناصر تدوين النازلة فتتكون في الغالب من شقين:

- السؤال و يشتمل في أكمل صوره على خطبة حمد وإطراء، اسم العالم المسؤول، والجهة التي ورد منها السؤال، ونص النازلة، وتاريخ النازلة (و ليس بالضرورة أن تتوفر هذه العناصر كلها مجتمعة في النازلة الواحدة).
- الجواب: يتضمن رد المفتي على النازلة التي وردت إليه.

خامسا ـ خصائصها:

- تنوّع تسمياتها وتقارب مدلولاتها.
- الواقعية.
- تنوع التأليف شكلا ومضمونا.
- الطابع المحلي.
- تصطبغ بالمذهب الذي يتمذهب به المصنّف.
- تحتفظ لنا بنصوص هامّة عن مصادر ضائعة، و فتاوى بعض العلماء غير المُصنفِين.
- تمثّل الجانب المتطور باستمرار من الفقه، وتجدّد المضمون.

سادسا ـ مصاعب البحث فيها:

- صعوبة توطين الكثير من مسائلها، وضبط أطرها الزمانية.
- عُسر التعاطي مع مصطلحاتها الفقهية، وبنيتها اللغوية.
- أنّ بعض مسائلها طُرحت افتراضيا و لا أصل لها في أرض الواقع.

سابعا ـ أهميتها التاريخية:

- تشتمل ـ وإن بدرجات متفاوتة ـ على إشارات تاريخية مباشرة، إلاّ أنّها تتسم بالاقتضاب، والافتقاد إلى خيط وصل بينها داخل التأليف الواحد.
- تزيد من فهم الدارس وتعميق أفقه البحثي، ضمن معطى أنّ الوقوف على مضمرات الظواهر المدروسة يستلزم وضعها في السياقات المختلفة التي أوجدتها.
- تعدّ إحدى الوسائط المصدرية التي يستند إليها المؤرخ في تعزيز شواهده حول الظواهر محل المعاينة.
- تعتبر مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي والاقتصادي والديني للفضاءات التي غطتها مسائلها، وهو ما وفّر للمؤرخ مادة ثرية أجابت عن استفهامات عدة، أثارتها الفجوات الكبيرة التي تخللت مصادره البحثية المباشرة.
- أكبر ميزة لها أنّها على عكس المصادر التاريخية التي يطغى عليها الطابع الرسمي، والتأريخ للنُخب، أنّها تعطينا إضاءات متنوعة عن فئات الظل والفضاءات الهامشية، في يومياتها، وعلائقها، وأنشطتها، ومشاكلها، وذهنياتها.
- تساعد خاصية الاستمرارية وتجدّد المضمون فيها الباحث في تقفي ملامح الذهنية المحلية، ورصد مؤشرات تبلورها، وتمييز الثابت والمتغيّر في أنسجتها.

مراجع للدعم

- **محمد حجي: نظرات على النوازل الفقهية.**
- **محمد الحبيب الهيلة: مناهج كتب النوازل الأندلسية والمغربية.**